سألنا عنها في لحج وعدن وتعز وعثرنا على أحدها في صنعاء

مهمة البحث عن براميل التشطير!!

في كرش قالوا:(كرهناها لدرجة الغثيان) وفي الراهدة أجابوا :(ذهبت الى الجحيم)!

بحث عنها: محمد السيد

عندما زار الكاتب الايطالي الشهير البرتو مورافيا اليمن بشطريه عام ١٩٧٣م وشاهد براميل التشطير قال: (إنها الحدود الأشد إثارة للضحك في العالم فكل شيء ينفذ من خلالها..) نتفق مع عمنا البرتو في جزء مما قاله ونلتمس منه العذر إذا اختلفنا معه في الجزء الآخر ،نتفق معه بأن هذه الحدود والاصنام لم تكن يوما قادرة على قطع أواصر الطبيعة ووشائج البشر في الوطن الواحد رغم تناقض الأنظمة ونختلف في طبيعة هذه الحواجز التي لم تفرق يوما بين الصغير والكبير والمريض والسليم والسياسي والرجل العادي كان يقف امامها الرجل الشريف جنبا الى جنب مع قاطع الطريق الكل سواسية ..وهنا تقطعت لغة الكلام؟ واستحقت بجدارة ان تكون أشهر من نار على علم وأقوى براميل في العالم!! عندما قامت الوحدة الألمانية هدم سور برلين الشهير فتوزعت أحجاره على متاحف المانيا فيما راح آلاف المواطنون يتسابقون على الفوز بقطع من هذا السور للذكرى وللأجيال. وهنا جاز السؤال :(أين براميل التشطير وأصنام الحدود؟! التحقيق التالي يحاول الإجابة.

إبتدأ المشوار!

لا أكون مبالغا إذا قلت باني خضت سباقا محموما مع المركبة التي اقلتني الى (كرش- الشريجة) موطن إقامة براميل التشطير فقد كان قلبي يخفق كلما إقتربت من المكان الذي أزوره لأول مرة.. مشاعر من السعادة والألم تعيشها في نفس الوقت واللحظة ،لكنك لاتجد تفسيرا منطقيا لهذا الشعور المتناقض!

سعيد لأن القدر قادني الى زيارة هذا المكان وبالتالي الفوز بإلتقاء هذه البراميل علني أستطيع إستنطاقها في محاولة للحصول على جواب مقنع للكثير من علامات الاستفهام والتساؤلات التي طالما إحتشدت في تفكيري وعقلي منذ الصغر .

خاصة عندما كنت أجيد فن الاستماع لأحد الجيران وهو يتحدث ولأكثر من شخص حول البراميل التشطيرية التي تنتصب في كرش والشريجة وغيرها ،والإجراءات المعقدة والمعاناة التي يلاقيها المواطنون عند كل زيارة يقومون بها سواء من الشمال إلى الجنوب أوالعكس.

إنطلقت باكرا من مدينة تعز بإتجاه منطقتي كرش - الشريجة في رحلة البحث عن (البراميل) -معذرة فانا لاأقصد هنا أي براميل -فالمطلوب الذي أرهقني واحرق اعصابي وأنا ابحث عنه بين تعز ولحج وعدن وصنعاء أشهر من نار على علم.. فهو من أجبر الصغير والكبير على التوقف عنده لساعات وأحيانا لأكثر من يوم في إنتظار الإذن بالعبور سواء من هذا الطرف أوذاك ،ولاداعي للأخذ والرد حتى ولو كان (شنبك) يوازي البرميل طولا .. مانبحث عنه هي (براميل التشطير)! لاتكاد تسأل شابا أوشيخا أو امرأة قدر لهم عبور مناطق الحدود إلاّ ولهم حكاية مع هذا (الصنم) الذي ظل واقفا صامدا عشرات السنين.

مواطنون عاديون وسياسيون ..مرموقون وآخرون أكل عليهم الدهر وشرب.. الجميع يعرفونها تماما.. بإختصار إنها (البراميل سيئة السمعة) لم تستثن أحدا ولم تعمل إعتبار للصغير والكبير.. للسياسي أو الرجل العادي للمرضى أو للمتعافي فالجميع عنده سواسية ، والجميع يجب ان يتوقفوا عنده تحت أشعة الشمس حتى ولو لساعات!!.

في الراهدة فتشنا عنها كثيرا وفي الشريجة سألنا عنها الصغير والكبير وفي كرش إنتابتنا لحظة يأس بالعثور عليها، ومع ذلك ظل هناك أمل خاصة عندما كان البعض يبتسم لنا ونحن نسأله عن براميل التشطير ،فيما وجد من كان يبدي إهتماما لتساؤلاتنا ويحاول ان يقدم يد المساعدة ومع ذلك سمعنا من يقول لنا:(بطل جنان) بعد ١٥عاما جئت تبحث عن البراميل ..روح ياشيخ!.

أنت مجنون!

(أنصحك بإأبني بأن لاتسأل أحدا بهذا السؤال لأنهم بلاّ مؤاخذة - سيعتبروك مجنونا..- بهذه الكلمات فاجأني أحد المشائخ بمنطقة الراهدة قبل أن أكمل عليه تساؤلي حول مصير براميل التشطير ولماذا لانجد لها أثرا في المكان!.

مضيفا زمن البراميل إنتهى وولى فالناس هنا ماصدقوا أنهم تخلصوا من هذا الكابوس الذي ذهب الى الجحيم..

وأنت تأتي من صنعاء لتسأل :لماذا لاتوجد براميل التشطير أتريد تذكر الناس بها، بالأمانة هذا سؤال يدخل العقل!!

هل تعرف مامعنى البرميل في هذا المكان؟! البراميل هنا تعني التوقف والتفتيش والتعب الطويل الذي لايخلو من القلق.. ياما ناس جاءوا من هنا أوهناك لزيارة الأهل او توديع شقيق وعزيز أو إلقاء نظر على مريض لكن البراميل حالت دون ذلك ،بسبب نقص ورقة أوعدم إكتمال توقيع أو لمجرد شك خضع لمزاج أحد العسكر ولم يستند للحقيقة!!.

البراميل دفنت وقد تكون الآن تأكلت وتحللت بالتراب وهنا تنتهي أهمية السؤال كون المسئول عنها أصبح ذكرى يؤرخ لمرحلة أليمة من تاريخ اليمن الحبيب!!.

براميل الغثيان!

بدوري استوعبت كل كلمة سمعتها لكن أعترف بأن فضولي الصحفي منعني من تنفيذ نصيحة الوالد الشيخ عبدالله محمد .. حيث طرحت نفس التساؤل بمنطقة كرش على شابين كانا يتواجدان بجانب الصنادق التي تمتد على الجانب الأيمن من الطريق ولكن لاجديد في الإجابة وإن إختلفت التعابير وبإختصار هذا هو الجواب :(بصراحة سؤالك يثير الضحك.. البراميل التي كانت تتواجد في هذا المكان لم تكن سوى حالة مؤقتة سقطت في الـ٢٢من مايو ٩٠م كما سقطت أصنام مكة يوم الفتح لتحل محلها الحرية ويلتئم الشمل ،لقد استطاعت هذه البراميل أن تولد عقد خاصة لدى الانسان في هذه المنطقة وتمنى كل من احمد وعبدالقوي لو أن هذه البراميل ظلت باقية في متاحف البلاد لا لشيء ولكن للعظة والعبرة بحسب قولهما.

وتزداد ثقتك بمدى الحقد والكراهية التي يحملها الناس هنا لهذه البراميل عندما تسمع شخصا آخر يدخل عليك فجاة ودون مقدمات مقاطعا حديثك مع الشابين بقوله:

(الوحدة ..شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ..أما البراميل فلم تكن في أي يوم سوى حلقة ضعيفة تهاوت بالتوحد واجتثت من فوق الارض!!)

أما في كرش فقال لنا أحدهم (لقد كرهناها لدرجة الغثيان!!).

إلى مكتب الآثار!

موضوع التحقيق تم طرحه أيضا على الاخ العزي مصلح مدير عام مكتب الآثار بالمحافظة الذي أعترف من خلال إتصال تلفوني معه بإندهاشه من مناقشة مثل هذا الموضوع ،إلاّ أنه في نفس الوقت أكد على أهمية طرق جانب مهم من تاريخ البلاد إبان التشطير حتى ولو كان هذا الموضوع يتعلق بالبراميل التشطيرية.

العزي مصلح اشار الى ان البراميل التي نراها اليوم تكاد تكون موجودة في كل مكان لكن براميل الشريجة كرش لها خصوصيتها وأهميتها كونها تمثل جزءا من تاريخ اليمن كان يعد إجتيازها الى أي طرف من أطراف الوطن دون علم السلطات أوعدم موافقتها جريمة ومخاطرة لها الكثير من التبعات والآثار وقال ان وجود مثل هذه البراميل او الحواجز لايعني ان البلاد كانت مجزأة ومنفصلة رغم الصعوبات والعراقيل التي كانت تتسبب بها للمسافرين داخل الوطن الواحد إلاّ أنها لاتعد اليوم أكثر من رمز ومعنى للحاجز ونقطة مصطنعة خلقها المستعمر الأجنبي حيث لم يكن لها وجود قبل قدوم المستعمر لذا فعملية إزاحة مثل هذه البراميل كانت حدثا تاريخيا هاما لن ينساه المواطن اليمني مطلقا.

ويعتبر مدير مكتب الآثار بالمحافظة عدم الاحتفاظ بهذه البراميل مع ملحقاتها من الحواجز الحديدية التي كانت منتشرة على طول النقاط الحدودية بين الطرفين ،بعد خسارة كبيرة حيث كانت الضرورة تتطلب الاحتفاظ بها داخل أحد متاحف الجمهورية اليمنية لأجيال الـ٢٢من مايو وكذا للباحثين والمهتمين والزوار .

وأضاف توقع أن يأتي يوم يسألنا فيه أحد الباحثين أو المؤرخين أو أو عن مصير البراميل التي كانت تشكل ازعاجا وقلقا للجميع وتعرقل عبور وتنقلات الأخوة داخل وطنهم الواحد.. وهنا كان الاحتفاظ بهذه البراميل شيئاً مهماً!.

ويشير العزي مصلح إلى أن فكرة البحث عن البراميل لم تساوره خلال الفترة الماضية ،إلاّ أنه يلوّح بأن الاصل مايزال موجودا بالحصول على بعض من هذه المعالم إذا تم البحث في المنطقة بشكل دقيق ،مؤكدا في الوقت ذاته على أهمية ذلك للذكرى وللأجيال ويخلص مدير مكتب الآثار الى القول:

(أعدك بالعمل على البحث عن هذه البراميل وانا على أمل بالحصول عليها..!).

آمل أن أجدها!

من جانبه أكد الأخ صادق محسن صلاح مدير عام مكتب السياحة بتعز على ان اليمن ظل كيانا موحداً ولم يعرف التجزئة والفرقة إلاّ عند دخول الاستعمار للأجزاء الجنوبية من الوطن وتسلم الإمامة للحكم في الأجزاء الشمالية ومن خلال ذلك توفرت الظروف لتكريس التجزئة والحدود المصطنعة فانتشرت النقاط وانتصبت البراميل بعد ذلك في اكثر من مكان ومنطقة حدودية ومع ذلك لم تستطع ان تفصل التراب اليمني او تعزل الأخ عن أخوه سواء في عدن او في صنعاء أو تعز ولحج!.

وردا حول تساؤل التحقيق قال مدير مكتب السياحة:

بصراحة ليس لديَّ أي فكرة حول المكان الذي يتواجد فيه حاليا براميل كرش - الشريجة ، وهذا بصراحة يدعو للأسف كون هذه البراميل تختفي ولا يعيرها أحد إهتماما من حيث الحرص والتنبه على بقائها شاهدا ودليلا حيا على الحدود المصطنعة والهشة التي كرسها الاستعمار والامامة فبقاء مثل هذه البراميل لم يكن يعني التجزئة للوطن الواحد بقدر ماهو منغص وعامل نفسي مقلق أكثر مما هو شيء آخر.

وكم كنت أتمنى بأن أحد هذه البراميل في إحدى متاحف البلاد باعتبارها اثرا يذكرنا باننا تغلبنا على وسائل الفرقة التي حاولت القوى الخارجية زرعها بين أبناء الوطن الواحد، وعبرة لمخلفات الاستعمار وحدوده المصطنعة الواهية كنسيج العنكبوت .

صادق محسن صلاح أوضح بأن الفرصة لاتزال سانحة بالعمل على إيجاد هذه البراميل ومن ثم إيداعها المتحف ،كما عمل الألمان ببعض حجارة سور برلين التي تتواجد في متاحف المانيا فيما يحتفظ العديد من السكان بقطع صغيرة من أحجار السور الذي كان يفصل بين الألمانيتين الشرقية والغربية مع فارق المقارنة بين برميل اليمن وسور المانيا.

ونوه الى أنه في حال كانت هذه البراميل موجودة في متاحف البلاد ،كانت ستشكل معلما هاما يقصده السياح والزوار والمواطنون.

ولايزال البحث مستمرا

عندما لم نحصل على إجابة محددة ترشدنا إلى مكان وجود البراميل حينها توقعنا أن يكون أحد المتاحف في البلاد قد احتجز (سيئات السمعة) لديه وفورا بدأنا نتحرك هنا وهناك فحاولنا التواصل مع المتحف الحربي بعدن الذين بدورهم أكدوا عدم وجود شيء إسمه (برميل). فتحولنا إلى متاحف تعز.

على أمل أن نعثر على براميل التشطير ، فدخلت متحف صالة دون فائدة ثم متحف العرضي ،لكني لم أعثر على شيء سوى ملابس وذكريات الإمام الذي ولى الى غير رجعة!!.

(أين تكون البراميل ياترى؟!) ..لقد تعبت ..هل معقول ان تكون قد قطعت ٢٥٠كم هي المسافة التي تفصل بين الحالمة والعاصمة صنعاء لتستقر في أحد متاحفها ومتى رحلت الى هناك؟!

وأين يمكن ان أجدها؟.. تساؤلات كثيرة وعلامات استفهام سيطرت على تفكيري لأ دخل في حيرة.

وتوهان من جديد!!

وهنا كانت صنعاء محطتنا الأخيرة بعد أن سألنا عنها في متاحف لحج دون أمل.

توجهنا الى المتحف الوطني ومنه إلى متحف الموروث الشعبي لكن لاجواب ،وهناك وجدنا من يقول لنا: (قد يكون ماتسأل عنه موجودا في المتحف الحربي.. إذهب لعل وعسى)!

وفعلاً توجهت الى المتحف الحربي وهناك فزت أخيرا بالعثور على ضالتي التي شاهدتها لأول مرة.. المعنيون بالمتحف قالوا لي :(لا داعي للقلق برميل التشطير محجوز في الحفظ والصون..) لقد كنت متلهفا لمشاهدته وإلتقاط الصور له وبعد إلحاح مني إصطحبني مدير التوثيق والمعلومات بالمتحف إلى (قاعة الوحدة) التي تم إستحداثها بعد إعادة الوحدة اليمنية في الـ٢٢من مايو ٩٠م حيث تضم القاعة بعض الشواهد التي ترتبط بمراحل الوحدة ومجموعة من الصور المأساوية التي تعكس بعضا من مشاهد حرب الإنفصال عام ٩٤م وغيرها من الأحداث الأخرى.

لكن مايشد إنتباه الزائر لهذه القاعة هو ذلك البرميل الذي ينتصب وسط القاعة يحيط به حاجز حديدي تم نقله من منطقة الشريجة إبان إعادة الوحدة اليمنية.

مدير وحدة المعلومات أكد لنا بأن هذه القاعة تشهد توافدا كبيرا من الزوار والسياح ولاسيما طلاب المدارس وذلك بحثا عن براميل التشطير التي كانت يوما ما أشهر من نار على علم وشكلت مصدر قلق وإزعاج لكل من يعبر بإتجاه أحد الاطراف ،هذا ومايزال الغموض يخيم على مصير البراميل الاخرى.

■ المتحف هو مكاني الطبيعي وليس كرش

المتحف الحربي بصنعاء شاهد حال على بؤس مراحل التشطير

معظمها اختفى والسؤال :(أين ذهبت بقية البراميل؟!)

مدير آثار تعز: أعدك بمواصلة البحث عنها

مدير السياحة: ليس لديَّ فكرة عن مكانها وأتمنى أن نجدها

■ البرميل الوحيد يوجد هنا « المتحف الحربي بصنعاء »

■ إحدى المناطق التي احتفلت بسقوط أصنام البراميل